

المنازة

AL-MANARAT

Revue de Sciences Religieuses
paraît 3 fois par an

Dirigée par
La Congrégation des
Missionnaires Libanais Maronites

مجلة دينية جامعة
تصدر بثلاثة أعداد سنوياً

بإشراف
جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة

Rédacteur en chef
P. Georges Harb, M.L.

Directeur administratif
P. Hannoun Andraos, M.L.

Directeur responsable
P. Ignace Saadé, M.L.

Administration
rédaction et abonnements
**Séminaire des
Missionnaires Libanais**
Jounieh - LIBAN
Tel. 932 402 - 932 382 - 934 765

75 L. L. ou l'équivalent
Abonnement annuel

رئيس التحرير
الأب جورج حرب ، م. ل.

المدير الإداري
الأب حنون أندراوس ، م. ل.

المدير المسؤول
الأب اغناطيوس سعاد ، م. ل.

الإدارة والتحرير والاشتراك
إكليريكية المرسلين اللبنانيين
جونيّة - لبنان
تلفون ٩٣٤٧٦٥ - ٩٣٢٣٨٢ - ٩٣٢٤٠٢

الاشتراك السنوي
٧٥ ل. ل. أو ما يعادلها

١٩٨٢

العدد الثاني

السنة ٢٣

اين هو مؤلف البطريرك يوسف اسطفان

دفاعاً عن قداسة مار يوحنا مارون؟

بقلم الدكتور ميشال بربدي

من جملة ما لحق بشخص البطريرك يوسف اسطفان (١٧٦٦ - ١٧٩٣) من الاجحاف ان قد ضاع اكثر انتاجه الادبي في خضمّ الخصومات والمشاكل التي اثّرت حول هذا البطريرك العالم الفاضل.

لكن ذاكرة المؤرخين قد حفظت له مؤلفاً بعنوان: «المحامة عن قداسة مار يوحنا مارون البطريرك الاول على الموارنة».

وبناء على هذه الذكرى قال العلامة جورج غراف في كتابه بالالمانية «تاريخ الاداب العربية المسيحية» (١)، ان مؤلف البطريرك اسطفان قد نشره جيراثيل الشبلي (كنا) سنة ١٨٩٩. واستد غراف في قوله هذا على تقدير صدوره اليسوعي الأب لويس شيخو (٢).

والمقصود فعلاً في قول الكاتين المذكورين هو المجموعة التي نشرها الاب افرام الديراي الراهب الحلبي بعنوان: كتاب المحامة عن الموارنة وقديسهم، سنة ١٨٩٩. ومن البديهي ان الاب شيخو اخطأ في تقديره هذا لأنه لم يطلع بنفسه على الكتاب الذي نشره الاب افرام الديراي، وان غراف لم يكن اكثر تدقيقاً من شيخو ولا احسن اطلاعاً.

ومثل هذه الاخطاء الكثيرة لاحظناها في العديد من المنشورات حول القضايا المارونية، ويكفي ان نلمح اليها لنحذّر القراء والباحثين من ان يذعنوا دون روية لكل ما ينشر في الغرب بعنوانين طنانة. ان المجموعة التي نشرها الاب افرام الديراي تضمنت بضعة مصادر كانت حتى تاريخ نشرها مخطوطة فقط لا يعرف بها الا القليلون، بينها رسالة الحوري انطون القبالي البيروني والخطاب الجندي المحامي عن القديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الموارنة وثبات الاكرام المقدم للقديس يوحنا السرومي الملقب بمارون الخ... .

فاستحصل الاب افرام الديري على نسخة من مكتبة دير رهبانته بروما، حيث كان المطران يوسف الدبس قد سبق واتته للذخائر التاريخية المحفوظة في هذه المكتبة، فأخذ بنفسه سنة ١٨٩٣ نسخة (خطها بيده) عن المخطوطة رقم ٤٥ المعروفة بعنوان «النبات الاكرام المقدم للقديس يوحنا السرومي» المشار اليها في مجموعة الاب افرام الديري^٣. وبينما اكد المطران الدبس ان هذا «النبات» هو من وضع البطريرك يوسف اسطفان، اعلن الاب افرام الديري في فهرست مواده انه دفاع رفعه الى السادة الكرادلة المطران اسطفان عواد السمعاني.

وفي أيامنا أعاد طبع معظم المؤلفات المذكورة دفاعاً عن قداسة مار يوحنا مارون حضرة الآبائي بطرس فهد بعنوان:

القديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الطائفة المارونية وفقاً لنص المخطوطات العربية المحفوظة في روما (جونية ١٩٧٠)

وقد اضاف الى ما سبق مقالة وضعها بالمعينة كل من القس غابيل فاضل (الذي اصبح بطريركاً سنة ١٧٩٣) والقس الياس الجميل^٤، وكلاهما من تلامذة مدرستا الرومانية. وتجدد هنا الملاحظة ان حضرة الآبائي فهد قد اخذ ما نشره هنا عن المخطوطة رقم ١٨٦ لا عن الرقم ١٨١ كما ورد خطأ في كتابه المذكور.

وفي كل هذه المنشورات لم نجد اثرأ أكيداً لمؤلف البطريرك يوسف اسطفان المنشود.

فلأجل تحديد نوعيته يجب ان نلخص أولاً المعطيات التاريخية التي دعت الى تأليفه نتيجة للمشكلة المصطنعة حول قداسة مار يوحنا مارون في حلب في منتصف القرن الثامن عشر. وقد لجأ أصحابها الى كل فنون التهويش والتزوير حتى انهم اختلفوا رسالة باسم بطريركهم كيريللوس (تاناس) اذا عاوها بعد ان كان قد مضى على وفاة هذا البطريرك خمسة عشر سنة^٥. وتفصيل المشكلة معروفة في شتى المصادر، اخصها الجامع المفصل للمطران يوسف الدبس. ويكفي أن الحظ هنا أنه، خلافاً لما يتصوره بعض المؤرخين، كانت القضية قد رُفعت الى المراجع الرومانية قبل أن يرسل أرسانيوس شكري مطران حلب الماروني طلبه المؤرخ في ١٢ كانون الاول ١٧٦٨ الى البابا اقليموس الثالث عشر. ذلك انه تبين الآن ان الكرسي الرسولي - بلسان مجمع انتشار الايمان المسؤول حيثئذ عن قضايا الشرقيين - كان قد كتب قبل تاريخ رسالة ارسانيوس شكري وبالضبط بتاريخ ٦ نيسان ١٧٦٨ الى البطريرك الماروني يوسف اسطفان يسأله الاجابة رسمياً عن الالبيات الموجودة لدى الطائفة المارونية حول الاكرام المقدم لمار يوحنا مارون.

الا ان هذه الرسالة لم تصل الى لبنان الا بعد مرور سنة من تاريخها. فقام البطريرك مجدداً للجواب عليها، فكتب دفاعه مباشرة باللغة الايطالية مفصلاً فيه عناصر المشكلة وتواريخها ثم دلائل الاكرام العلني المشهورة في الطائفة، وذيّل كل ذلك بما أسكته من الاثبات التاريخية والنصوص المخطوطة والمنشورة وارفقه برسالة حول الموضوع وقّعها رؤساء اديار كسروان بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٧٦٩، ورسالة شخصية منه الى الكردينال كاستلي رئيس مجمع انتشار الايمان مؤرخة في العاشر من كانون الثاني سنة ١٧٧٠

وهذا المؤلف الذي عرف فيما بعد بعنوان «الدفاع عن قداسة مار يوحنا مارون» كان السبب الاول لأن يرفع مجمع انتشار الايمان هذه القضية بطريقة رسمية الى المجمع المختص بدعاوى القديسين (= مجمع الطقوس) ليفصل حسب الانظمة المرعية في هل ثبتت قدمية الاكرام المقدم من الموارنة للقديس يوحنا مارون؟. وبعد ان وضع مجمع الطقوس يده على هذه القضية قام وكيل بطريركي (المطران اسطفان عواد) بملاحقة الدعوى لدى هذا المجمع، فقدم حسب الأصول شرحاً لاثباته للراهبين الاكثر نفاداً في سبيل اثبات قدمية هذا الاكرام العلني لمار يوحنا مارون.

وفي اثناء ابحاثي الطويلة حول القديس يوحنا مارون ومؤلفاته توقفت بالعثور على الأصل المخطوط باللغة الايطالية الذي كتبه بخط يده البطريرك يوسف اسطفان، كما اطّلت على المخطوطة اللاتينية التي وضعها المطران اسطفان عواد ملخصاً للدرس الواسع الذي كان قد وضعه البطريرك.

ومخطوطة المطران عواد الموجهة الى مجمع الطقوس تحفظ اليوم في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم «بورجيانوم لاتينوم»: ١٥٨، وقد وصلت الى هذه المكتبة عن طريق متروكات الكردينال اسطفانو بورجيا الذي كان مسؤولاً في حينه عن مجمع الطقوس. وقد قام بتعريب نصّها أحد الرهبان الحلبيين في دير روما (وأظن انه الاب نطين الدرعوئي) ونسخته هي الرقم ٤٥ الذي نشره مؤخراً الاباتي بطرس فهد، وعن هذه المخطوطة قد أخذت نسخ كثيرة محفوظة في اديار لبنان والمكتبة البطريركية. وقد تكون نسخة دير قزحيا ^١ اقدم عهداً لأنها تتميز بلغتها العربية والكثير من تفاصيل كتابتها عن نسخة دير الحلبيين في روما. وستعرض تفاصيل هذه النسخ وغيرها في درس آخر ان شاء الله.

اما مخطوطة البطريرك يوسف اسطفان الاصلية فهي اليوم في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم «فاتيكانو لاتينو» ١٧٢٥٩، وفيها ٢٠٥ وراقات تحوي من الورقة ١ - ١٩٧ رسالة البطريرك اسطفان ودفاعه، تليه رسالة رؤساء اديار

كسروان (ورقة ١٩٨ - ١٩٩). وبما ان مضمون هذا الدفاع غير معروف حتى الان رأينا ان ننشر على صفحات مجلة المنارة عناوين الاقسام والفصول في هذا المؤلف الكبير، مع ترك ذكر ارقام الاوراق، لأن المخطوطة مرقمة ثلاث مرات مختلفة مما يوجب اعادة النظر في ترقيم صفحاتها. وغابتنا في ذلك ان نسهل الأمر للعثور في المستقبل على نسخة مماثلة لها قد تكون حُفظت في لبنان.

هذا الدفاع يحوي قسمين تسبقهما رسالة البطريرك الى الكردينال كاستلي (٣ صفحات) يليها فهرست المواد (١٠ صفحات).

القسم الاول يتضمن ١٢ فصلا:

الفصل الاول: في أول سبب لوضع هذا الدفاع (مشاكل القس انطون الصباغ الملكي في حلب مع ابناء الطائفة المارونية ومطراتها والمرسلين اللاتين).

الفصل الثاني: ثاني سبب لهذا الدفاع وهو طلب المجمع رسميا تقديم الاثباتات حول اعتقاد الموارنة بقداسة يوحنا مارون.

الفصل الثالث: ترجمة الرسالة التي وجهها الروم الملكيون الى مطران حلب الماروني.

الفصل الرابع: نص الرسالة المذكورة بالأصل العربي مع بعض ملاحظات عليها.

الفصل الخامس: بعض التهجمات التي نشرها الملكيون ضد الموارنة مع ملاحظات عليها.

الفصل السادس: اول دليل على الاكرام العلني لمار يوحنا مارون. دعما لهذا الدليل ثبت ان عيد التاسع من شباط كان (اولا) لاکرام هذا القديس.

الفصل السابع: ثاني دليل على الاكرام المقدم لمار يوحنا مارون (والبرهان على كيفية دمج عيدي مار مارون ومار يوحنا مارون في يوم واحد).

الفصل الثامن: ثالث دليل على ذلك

الفصل التاسع: رابع دليل على ذلك

الفصل العاشر: البرهان على ان الدلائل المذكورة ثابتة منذ القدم عن اشخاص (شهود) اتقياء وعلماء وقديسين.

الفصل الحادي عشر: في اجماع المطارين والكرسي الرسولي على الاكرام العلني
لمار يوحنا مارون.

الفصل الثاني عشر: في ان لجنة من الكرادلة وعلما الكرسى الرسولى قد سبقت
وقامت بتحقيق خاص حول قداسة يوحنا مارون وشخصيته
بمناسبة طبع كتاب الاشجيم الكبير (سنة ١٦٢٣ - ١٦٢٥).

القسم الثاني يتضمن سبعة فصول مجزأة كما يلي:

الاول: في البرهان الاول على صحة امانة الملة المارونية وفي خمسة اجزاء تشمل
تفاصيل تاريخية حول البطريرك سركيس الرزى والمرسل
اليانو وايرونيوموس دنديني، ثم حول طبعة كتاب القداس
ومحريف بعض الكتب الكنائسية على ايدي النساخ اليعاقبة.

الثاني: في البرهان الثاني على ذلك وفيه خمسة اجزاء تحوي التفاصيل عن اعتقاد
الموارنة بالطبعيتين والمشيتين والفعالين مع ذكر كتاب الهدى.

الثالث: في البرهان الثالث على ذلك وفيه اربعة اجزاء تتضمن البحث حول
المجامع الستة الاولى ومرطقة القائلين بالمشية الواحدة، ثم
حول الاعتراضات الناجمة عن لائحة اليسوعي اليانو والكتب
المزعومة لعبد الله بن الطيب وشهادة غليلموس الصوري.

الرابع: في اعمال القديس يوحنا مارون ومؤلفاته وفيه تسعة اجزاء تتضمن
البرهان الرابع على صحة امانة مار يوحنا مارون وملته
المارونية. وقد بحث هنا البطريرك يوسف اسطفان في رسالة
الايضاح ابي ايضاح الايمان المنسوبة لمار يوحنا مارون،
وأورد قسماً من شهادات الآباء المذكورة فيها، وان القديس
يوحنا مارون كتب ضد القائلين بالمشية الواحدة، خلافا لما
قدّره من عنده يوسف سمعان السمعاني.

الخامس: في البرهان الخامس على صحة امانة مار يوحنا حارون وفيه ثمانية
اجزاء تتضمن سيرة مار يوحنا مارون والردّ على افتراءات
سعيد بن بطريق وغليلموس الصوري وتيمسوطاوس
القسطنطيني والمترجم اللاتيني لمؤلفات يوحنا الدمشقي.

السادس: في ان المحافظة على كنية «موارنة» تشكل بذاتها دليلاً على تميز هذا
الشعب عن سائر من أحاط به من الملل في الشرق.

السابع: في أن صحة امانة الملة المارونية تثبت أيضاً من عدم انقطاع اتصالها
بالكرسى الرسولى الروماني.

بعد هذا العرض لما تضمنته مؤلف البطريرك اسطفان الأصيل، بقي ان نلّمح الى وجود مخطوطة (رأسها ٤٧٩) في مكتبة الرهبان الحلبيين في روما لم يذكر صاحب الدليل عنها لا اسم مؤلفها ولا مضمونها بالضبط ولا تاريخها ولا اسم ناسخها، واكتفى بالقول ابا دفاع باللغة الايطالية. ونأسف ان تكون الظروف حالت دون ان نحقق شخصياً في هل تنطبق مع كتاب البطريرك اسطفان أم لا.

بقي ان نختم هذه المعلومات برجائين نوجههما لمن قد يهّم الأمر من الفراء الكرام:

أولاً: أن يتجدد أحد تلامذتنا في روما لملاحقة ما تسجل في محاضر مجمع الطفوس حول هذه الدعوى ومعرفة ما جرى حول الموضوع بين سنة ١٧٧١ وسنة ١٨٠٠، وللتثبت في أي مرحلة توقّف النظر في القضية، مع الملاحظة ان الاحوال السياسية في الحقبة المذكورة قد أخلقت الدولة البابوية وخلقت في روما جواً حال دون إنهاء الكثير من الدعاوى والامور الادارية. ومن جهة اخرى ان المشاكل التي أثارها قضية الراهبة هندية أثرت ولا شك على وضع البطريرك يوسف اسطفان وحوّلت الاهتمام عن مطلبه الأصيل في اثبات قداسة مار يوحنا مارون من قبل السلطة العليا الرومانية.

الا ان خلفاء البطريرك اسطفان، في بداية القرن التاسع عشر، وخصوصا نسيه المطران يوسف اسطفان رئيس مدرسة كفرحي لم يبتنوا عن متابعة هذه القضية المهمة بالنسبة للطائفة المارونية. فتقدّموا على ايام البابا بيوس السابع بطلب رسمي لتسمح كنائس الطائفة غفرانا كاملا في يوم عيد مار يوحنا مارون. وقد حصلوا على ذلك على مرحلتين: في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠ لكنيسة المدرسة في كفرحي، ثم في ٢٧ ايار سنة ١٨٢١ لسائر كنائس الطائفة المارونية. وقد تأكدنا من ذلك مجدداً من سجل مقابلات كردينال مجمع انتشار الايمان لسنة ١٨٢٠ (ورقة ٥٨ قفا ثم ٧٦)، وسجل مقابلات الكردينال نفسه لقداسة البابا سنة ١٨٢١ (ورقة ٣٧٨ وعدد ٣٧٨).

ثانياً: ان يشرع احد ابنا اسرة اسطفان الكريمة في الوطن أو المهجر بما يلزم لنشر مؤلف البطريرك اسطفان إتصافاً له ولقيمته العلمية وتحليداً لغيرته

وتضحياته في سبيل الطائفة المارونية التي أحبها، وزيادة للفائدة الأدبية في عصر
أصبحنا في أمس الحاجة لتجديد معارفنا حول تاريخنا الكنسي والوطني معاً.

ونعتقد ان كل هذا لم يتم الا تنوعاً لما سبق من دفاع وابحاث كان
للطربيرك اسطفان الفضل الكبير فيها.

حواشي

- ١ - جزء ثالث ص ٤٦٢
- ٢ - راجع مجلة *Mélanges U.S.J.* عدد ١٤ (١٩٢٩) ص ١٠٣
- ٣ - راجع في ذلك الخبر المذكور في الجامع المفضل في تاريخ الموارنة المؤصل، ص ٩٩ - ١٠٤
- ٤ - وهو اخ للمطران المعروف بهذا الاسم، وكان قد توفي قبل سيامة اخيه المذكور كاعنا سنة ١٧٦٤ فالتخذ هذا الاخير اسم المتوفي تبركاً وتخليداً لذكرى اخيه.
- ٥ - راجع كتاب الحماية المذكور ص ١٩٤ ثم ص ١٩٨ من طبعة الاباتي فهد
- ٦ - راجع مجلة المشرق عدد ٢٤ (١٩٢٦) ص ٧٥١